Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.29, Issue: 2022

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد التاسع والعشرون، 2022م.

الرسائل الإخوانية في أدب شبه القارة الهندية

Letters of Brotherhood in the literature of the Indian subcontinent

د. حافظ مُحَمَّد بادشاه
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

Abstract

Literature of Litters is considered one of the oldest literary art, and we see it in all literary eras since the pre-Islamic to the modern period, it has been used for many important purposes like the Holly Prophet (P.B.U.H) used it to forward the massage of Islam to the different kings of the world.

Those writers and literary scholars of the Indian sub-continent who contributed to the development of Arabic language and literature for the sake of Islam, they have a vital role in the development of Literature of Litters. In this article I have discussed some of the writers and scholars who have written literary letters. These letters have not less literary value from the literary litters in the advanced ages. This value we will see in this article, In Sha ALLAH.

This research has been divided into three sections and a conclusion, namely:

First: The concept of Literature of Letters.

Second: The emergence of the Literature of Letters of Brotherhood and its development in the Indian sub-continent.
Third: Some examples of Literature of Letters of Brotherhood from the Arabic literature of Indian sub-continent.

المبحث الأول: مفهوم الرسائل الأدبية

الرسالة لغة: لقد اشتقّ لفظ رسالة من المادة اللغوية (رَسَلَ) التي تدل على معانٍ حسية كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية القديمة الحديث عنها وهي : "القطيع من كلّ شيء"، أو "القطيع من الإبل والغنم"[1].

وقد تطور مفهوم لفظ رسالة من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي فقد ذكر ابن منظور أن الإرسال يعني التوجيه، والاسم الرِّسالة والرَّسالة،[2] ثم تطور هذا المفهوم للفظ رسالة وانطلق من المجال اللغوي ليدل على كل كلام يراسل به من بعيد.

الرسالة في الاصطلاح: "قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أو مما يُستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعانٍ طريفة[3] ، كما يتخلل رسائل هذا العصر آيات من القرآن، أو أحاديث نبوية شريفة، أو أمثال.

وقد عرفها القلقشندي: "فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات والمسامحات، والإطلاقات، ومناشير الاقطاعات، والهدن والأمانات، والإيمان، وما في معنى ذلك ككتابة الحكم وغيرها"[4]

لئن كان الأدباء الأوائل فصّلوا في هذا الجانب وأفاضوا فيه فإن المحدثين هم بدورهم أدلوا بدلوهم وكان لهم ما يقولون، و في ذلك يرى أحدهم أن الرسالة "هي ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبراً فيه عن شؤون خاصة،أو عامة وينطلق فيها

الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأنق، وقد يتوخى حيناً البلاغة، والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوىً أدبي رفيع"[5]

وقد عرفها عبدالعزيز عتيق "هي كل ما يرسل أو هي الكلمة شفوية أو مكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه، وهذه الكلمة تختلف طولاً وقصراً على حسب موضوعها."[6]

أما حسين علي مُحَمَّد فيعرفها بقوله: "هي فن من فنون النثر القولية، عرفها العرب منذ القدم، وهي مثل فنون النثر الأخرى (القصة، المسرحية، السيرة الذاتية...) لها خصائصها المميزة التي تجعلها فنًا قائمًا بذاته".[7]

المبحث الثاني: نشأة فن الرسالة في شبه القارة الهندية

إن فن الترسل معروف عند الأمم الأخرى أيضًا وهو قديم كذلك و حسب ما جاء في الموسوعة العربية فإن أقدم الرسائل التي وصلت إلينا رسالة بابلية كتبت على لوح آجري محفوظ ضمن غلاف من آجر أيضًا. كذلك نجد أن الآداب غير العربية هي الأخرى تناولت أدب الرسائل.

والرسالة تقصر وتطول دون أن يؤثر ذلك على بنائها الفني ولها ثلاثة أقسام: **أولها** رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة، وهي تتيح لمنشئها أن يظهر مهارته الفنية وثروته الفكرية والثقافية، كرسالة طوق الحمامة، **وثانيها** دون ذلك الطول كرسالة ابن غرسية في الشعوبية، ورسالتي ابن زيدون الجدية والهزلية، **وثالثها** رسائل قصار كنحو ما تجري به العادة في المراسلة والمكاتبة. وهذا النوع الأخير نجد في شبه القارة الهندي الباكستانية وهو موضوع هذا البحث.

وكتابة الرسائل الفنية تتطلب من منشئها أن يستخدم طاقات فنية مختلفة تتعلق بالدقة في اختيار الألفاظ، وحسن تنميقها، وحلاوة تركيب الجمل، وصياغة العبارات في تأليف المعاني، والموازنة، بينها وبين الكلمات التي تعبّر عنها إلى جانب توفير الإمتاع الفني لنفس القاري.

إن علماءنا في شبه القارة الهندية فقد كاتبوا رسائل ومكاتيبا بعضهم إلى بعضهم وأحيانا كانوا يكتبون في داخل بلادهم باللغة العربية، وأحيانا مع رفقائهم وزملائهم العرب في الدول العربية وغيرها، وكذلك رؤساء الجامعات والمدارس الإسلامية المختلفة ومندوبيهم راسلوا إلى الجامعات والمدارسة الدينية الاخرى في البلد أو في الخارج باللغة العربية، وبعضهم جمعوا الرسائل في كتب ومنهم من ألف كتبا في كيفية المراسلة باللغة العربية.

- فالشيخ باقر بن مرتضى المدراسي جمع رسائله في كتاب سماه شمائم الشمائل في نظام الرسائل.
- وحسن علي بن حاجي شاه اللكنوي كتب رسائل عارض بها الحريري وبديع الزمان.
- والسيد ناصر حسين اللكنوي كتب "كتاب الأثمار الشهية في الإنشاء".
- والشيخ بناه عطا بن كريم عطا السلوني ألف "كتاب النجم الثاقب لمن يكاتب".
- وقد ألف الشيخ مُحَمَّد زمان خان كتاباً في الترسل والإنشاء وسماه "سفينة البلاغة".
- والسيد ناصر حسين الجونبوري كتب "علم الأدب في محاورات العرب".
- والإمام أحمد الرباني المجدد ألف ثاني النقشبندي السرهندي له كتاب باسم المنتخبات الذي يحتوي على مائة وواحد وخمسين مكتوباً منتخباً.
- ومفتي مُحَمَّد عباس جمع رسائله في كتاب سماه ظل ممدود.
- وجمع رشيد الدين الدهلوي رسائله في مجموعة.[8]

إن الرسائل كانت في مختلف العصور مسجوعة منمقة وأخذت تحتل مكانة القصائد الشعرية وخصائصها ولكن بعد مرور الزمن احتلت الأغراض المختلفة كالمدح، والتغزية والرثاء، والاعتذار والاستعطاف والنصح والحكم والود

والصداقة، وقد تطورت كيفية كتابة الرسائل من النهج القديم إلى النهج الجديد بحيث تكتبب الرسائل على الحاسوب وترسل بالبريد الإلكتروني وكذا ترسل عبر الجوال وغير من الآلات الإلكترونية المتطورة.

يقول الأستاذ عبدالماجد الندوي مبينا أهمية هذا الفن حيث يقول قائلاً: "إن الإنشاء موضوع هام لجميع اللغات الحية وتضاعفت أهميته في هذا العصر الديمقراطي وما يحتوي عليه من الصحافة والمجالس والدعوى والتبليغ والارتباط بين البلاد المختلفة ارتباطا اجتماعياً وأدبيا ودينياً"(9)

ولعل أقدم نموذج وصلنا من الرسائل في شبه القارة الهندية هو ما كتبه أبو العلاء اللاهوري (ت491هـ) وقد تلا حقبة أدبية اشتهرت فيها طريقة بديع الزمان الهمداني (ت398) وأبي بكر الخوارزمي (ت383هـ) وهما من فطاحل النثر في العصر الغزنوي.

المبحث الثالث: نماذج من رسائل شبه القارة الهندية

أبو العلاء اللاهوري: أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي ثم اللاهوري كان من أصل عربي وهاجر آباؤه في عهد مبكر واستوطنوا مدينة الري بإيران ثم رحلوا منها إلى غزنة عاصمة الملوك الغزنويين، كانت عائلته من بيوتات العلم والفضل، خدمت الغزنويين وارتقت في مناصبهم، لم تصرح المصادر بشيء عن مولد أبي العلاء وحياته الأولى والأرجح أنه ولد بالري ونشأ بها لأن كتاب التذاكر الإيرانيين يلقبونه بالرازي ثم الغزنوي، عمل أبو العلاء في بلاط ملوك غزنة وتنقل في المناصب والأماكن إلى أن عزله السلطان إبراهيم الغزنوي بتهمة التمرد والعصيان وحبسه في حصن من حصون مدينة لاهور، سنة 463هـ. بقي عطاء بن يعقوب ثمانية أعوام في السجن بلاهور إلى أن زارها السلطان إبراهيم في 472هـ، وقيل له إنه برئ وما زال في سجنه فعفا عنه وأطلق سراحه فاستقر في لاهور حتى نهاية حياته عشرين عاماً، إن أبا العلاء أديبا قوياً، وإن نثره العربي يمثل مدرسة

الهمداني، وذكر المؤرخون أن ديوانه العربي انتشر في العراق ومصر وكان يباع بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر كما كان ديوانه الفارسي يباع في خراسان بأوفر الأثمان، توفي في 491هـ.[10]

نموذج من رسائل أبي العلاء اللاهوري

إن أبا العلاء اللاهوري أرسل رسالة إلى صديق له كان من الوزراء، استخدم فيها اصطلاحات النحو استخداماً ظريفاً، حيث يكتب كاتباً:

"أطال الله بقاء الشيخ في عز مرفوع كاسم كان، وأخواتها إلى فلك الأفلاك، منصوب كاسم إن وذواتها إلى سمك السماك موصوف بصفة النماء، موصول بصلة البقاء، مقصور على قضية المراد، ممدود إلى يوم التناد، معرف به مضاف إليه، مفعول له موقوف عليه، صحيح سالم من حروف العلة، غير معتل ولا مهموز همز المذلة، يثنى ويجمع دائمًا جميع السلامة والكثرة، لا جمع التكسير والقلة، ساكن لا تغيره يد الحركة مبني على اليمن والبركة، مضاعف مكرر على تناوب الأحوال، وزائد غير ناقص على تعاقب الأحوال. مبتدأ به خبره الزيادة، فاعل مفعوله الكرامة، مستقبله خير من ماضيه حالًا، وغده أكثر من يومه وأمسه جلالًا، له الاسم المتمكن من إعراب الأماني، والفعل المضارع للسيف اليماني، لازم لربعه لا يتعدى، ولا ينصرف عنه إلى العدا، ولا يدخله الكسر والتنوين أبدًا، يقرأ باب التعجب من يراه منصوبا على الحال أعلى ذراه، متحركًا بالدولة والتمكين، منصرفًا إلى ربوة ذات قرار ومعين".[11]

وفي هذه القطعة ما يدل دلالة واضحة، على مدى ما وصل إليه الكتاب من تعقيد لكتابتهم بمصطلحات العلوم، يدخلونها في آثارهم على نحو ما أدخل عطاء بن يعقوب مصطلحات النحو في هذه القطعة، وكانوا إذا تركوا مثل هذه العقد، التي يستعيرونها من العلوم.

ونرى في هذه النماذج أن أبا العلاء اللاهوري قلد ما ساد في زمانه مع طراز وضع أسسه بديع الزمان الهمداني بما فيه من ترسل وسهولة ورقة فانتمى إلى إلى مدرسة الهمداني وحريري.

الشيخ أحمد فاروق الإمام الرباني السرهندي: ولد شيخ أحمد السرهندي الفاروقي سنة 971هـ في بلدة سرهند. واستخرجوا تاريخ ولادته من لفظ خاشع 971 وعرض له بعد أيام من ولادته ما يعرض علي الصبيان من مرض فجاء به والده شيخه شاه كمال القادري فقال له شيخه لا تخف انه يكون ذا عمر طويل و صاحب أحوال السنية.

نشأ في جحرتربية والده فأخذ منه مباديء كتب العرب وحفظ القرآن الكريم في صغره واستظهر عدة من المتون في أنواع العلوم مع اتقان المنطوق والمفهوم. ثم رحل إلى سيالكوت و قرأ هناك على مولانا كمال الدين الكشميري بعض كتب المعقولات. وأخذ الحديث مولانا يعقوب الكشميري الصرفي وأيضاً أخذ الحديث في الحرمين الشريفين من كبار المحدثين مثل ابن حجر المكي وعبد الرحمن ابن فهد المكي وحصل إجازة كتب الحديث والتفسير وبعض كتب الأصول.[12]

نموذج من رسائله السرهندي

إن رسائل الشيخ أحمد السرهندي إلى أتباعه تصور لنا شيئا من واقع المجتمع وسياسة من حكموا باسم الدين يقول في رسالته له:

"واحزناه، واحسرتاه، وامصيبتاه، إن أتباع مُحَمَّد ﷺ وهو محبوب رب العالمين غرباء مهانون في بلادهم وأعداء مكرمون، إن الباطل بارز منصور، وإن الحق مخذول مستور"[13]

مفتي مُحَمَّد عباس اللكنوي: مفتي مُحَمَّد عباس بن علي بن جعفر الموسوي التستري اللكنوي كان من عظماء والأدباء في عصره، ولد سنة 1224هـ في لكنو ونشأ بها.

وقرأ على الشيخ عبد الحنفي ثم أخذ اللغة العربية عن عبدالقدوس الحنفي ثم بقية العلوم والمنطق والحكمة عن الشيخ قدرت علي الحنفي وتعلم الطب على يد المرزا عوض علي. رحل مُحَمَّد عباس إلى كلكتة ثم عاد بعد مدة إلى لكنو وتفرغ للتدريس والتصنيف حتى توفي في 1306هـ في لكنو ودفن بها. كان رحمه الله بارعا في الإنشا والأدب نابغا في الشعر يقرضه بالعربية والفارسية، وله مؤلفات أشهرها ديوانه العربي رطب العرب، كما له معراج المؤمنين ورياض الشعراء والظل الممدود وغيرها.(14)

نموذج من الرسائل لسيد مُحَمَّد عباس: ونرى المفتي السيد مُحَمَّد عباس في إحدى رسائله إلى الشيخ مُحَمَّد حسن النجفي:

"أما بعد سلام كالمسك إذا فاح، وكالصبح إذا لاح، وكالطائر إذا غرد، وكالشادن إذا شرد، وكالبرق إذا ومض، وكالشوق إذا نهض، وكا الصبح إذا لحظ، وكالفصيح إذا لفظ، وكالبدر إذا بزغ وكالعيش إذا رفغ، وكالثوب إذا حبك، وكالذهب إذا سبك، وكالنور إذا ابتسم، وكالغيث إذا انسجم، وكالربيع إذا حان، وكالطلع إذا بان، والغزال إذا رنا، وكالرصال إذا دنا، يحكي الورد شذا، والياسمين نشا، يفوق الرجل علواً، والعسل حلواً، يخجل الدر بصيصاً، ويجعل التبر رخيصاً...."(15)

ونرى في هذه الرسالة الإغراق في الصنعة أكثر من الحد في صدر الخطاب، لكن الأسلوب يتغير في الجزء الذي يشكو فيه آلامه، وهو ما ذكرنا شيئاً عنه في سمات النثر، وإن أسلوب الكاتب يتغير في المكتوب الواحد فلا يمكن الوصول إلى سمة محدودة لأسلوبه.

وفي رسالة أخرى كتب عباس التستري إلى المفتي سعد الله الحنفي بعد ما سافر إلى بيت الله الحرام:

"أيها العالم القمقام، الحاج إلى بيت الله الحرام، الواصل عن قريب إلى الحطيم هو المقام، لك العتبى فإني ما أطلعت على شخوصك من هذا البلد إلا بعد أيام، فتحسرت على ما فاتني من اللقاء والوداع، وتحزنت لما أراه من الوحشة لفقدك في هذه البقاع".(16)

رأينا أن الشيخ مفتى عباس عبر بأحسن التعابير بحيث استعمل في رسالته هذه الألفاظ المسجعة مثل: القمقام والحرام، والمقام، والوداع والبقاع، والبحر والقفر وغير ذلك.

الطاف حسين حالي: الشاعر الأديب والشيخ الفاضل الطاف حسين بن ايزد بخش الأنصاري من أشهر الشعراء في شبه القارة ولد في سنة 1253هـ في مدينة باني بت القرية من دلهي، درس العلوم الإسلامية وحفظ القرآن على يد الشيخ إبراهيم حسين الأنصاري والشيخ على نواز الدهلوي ومولانا قلندر علي وغيرهم، ودرس الشعر على يد غالب أبي الشعر الأردي في شبه القارة وأعظم شعرائه، وصاحبه واختص بصحبته حتى تفرغ للشعر وحده، ودون منظومته المعروفة بمسدس حالي، والتي تلقاها الناس بالقبول وسارت مسيرة الأمثال في البلاد وأولع الناس بها ولعاً عظيماً وطبعت مراراً لا تحصى وهي ملحمة عظيمة تصور المد والجزر في الإسلام وحال المسلمين وتنقلهم من النصر إلى الهزيمة ومن التقدم إلى الانحطاط، وقد صور فيها المجتمع الإسلامي تصويراً دقيقاً، ومن الأسف أنه نظمها باللغة الأردية فحرم الأدب الاستمتاع بها، كان حالي ناقداً عظيماً وشاعراً مرهفاً رقيقاً، سريع الانفعال غزير القريحة متألما لحال المسلمين في العصر الحاضر، اشتغل في لاهور زمنا ثم عمل بالتدريس في دلهي ثم اعتزل وتفرغ للشعر. توفي في الثالث عشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وألف ببانى بت.(17)

نموذج من رسائل إلطاف حسين حالي: كتب إلطاف حسين حالي في إحدى رسائله إلى مرزا أشرف بيك الدهلوي:

"سلام عليكم سلام غريب بعيد الدار مهجور الأوطان والأوكار طويل الليل عبوس النهار قد حل أرضاً لا أنيس بها ولا صاحب وضاقت عليه بما رحبت فأعيت به المذهب لا يتمكن من عزمه فيبصر قصده ولا يقدر على نفسه فيرى رشده قد تركتموه غرضا لسهام الآلام ودرية لطعان الأحزان والأسقام وحيداً طريداً بائناً بعيداً حزيناً كئيباً قلقاً مكروباً ولكنه مع ما به من الهم والشجى والحزن والأسى وكآبة الفراق وحزارة المشتاق ولوعة قلبه ولعوة حبه وشتيت باله وجزعه وبلباله لا يكاد يشغله عنكم شاغل ولا يحول بينه وبينكم حائل، وقد ألقى ذكركم بين عينيه ليأنس به ويسكن إليه وكلما يبلغه كتاب أو تهب ريح خطاب من عند أحد من الأحباب يهيج له شوقاً إلى شوق ويجشمه من الهوى ما لا يسعه الطوق فالحمد لله حمد الصابرين الراضين بقضائه كلما قضى الراجين رحمته عند كل كره ويؤسى على ما قد قيل:

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب

هو الهرب المنجى لمن أحدقت به نوائب دهر ليس منهن مهرب(18)

وكان حالي لا يحافظ على هذا الأسلوب في رسائله بل ينتقل إلى نثر عادي سهل ليس فيه من القديم إلا تزيينه بأبيات شعر، ففي رسالة إلى النواب عماد الملك الشهير بمولوي سيد حسين يقول:

أقمت معتصماً شهراً وأياماً بجبل رآفتكم في حيدر آباده

فهذا دعاء وتذكار لنصتكم وشكر لإحسانكم يا سيد السادة

ولست بناس طول عمري صنيعكم كذا جرت بادكار النعمة العادة

وبعد فقد وصلت يا سيدي في 3 نوفمبر يوم الثلاثاء بنعمة الله وحسن توفيقه من بمبى إلى دهلي سالماً غانماً وكنت في بمبي نزيلاً في منزل صاحبكم الجليل المبجل الممتاز عن الأقران في المعمورة بالسير العادلة والأخلاق المرضية السيتهـ غلام حسين المتنزه عن كل شيء الذي في رورته سكينة للقلب وقريرة للعين ستين

ساعة فعاملني هذا الفتى معاملة لا تكاد تقع بين الأجانب بل عاشرني معاشرة الأصحاب بالأصحاب ورافقني مرافقة الخلان بالخلان وأراني من خصائص المعمورة وعجائبها ومراسيها ومراكبها فوق ما كنت أرجو أن أراها وله غير ذلك من الصنائع التي صنع بنا ما لا يوصف باللسان ولا يفيه اللفظ والبيان فياليت شعري أأشكركم إياكم على ما هديتموني منزل الرجل النبيل...."[19]

وفي رسالة أخرى إلى مدير إحدى المجلات الأدبية العربية في لبنان يقول:

"قداسة القس الجليل قد وصلني من أول تموز إلى آخر تشرين الثاني ثلاثة أعداد من جريدتكم الفريدة المسماه بالنحلة الأدبية التي تلوح آثار قبول العالمين من غرتها البيضاء فتمتعت بما فيها من سوانح الأخبار وبدائع الأفكار وفوائد أخرى يعجز عن حصرها لسان الإظهار فبعدما أتشكر غاية التشكر على ما أحسنتم إلى مثل هذا المسكين بإرسال الجريدة أقول إني مع ما بي من شدة الولع وغاية الحرص على مطالعة النحلة لا أستطيع أن أشترك فيها وإن مثلى في الباب كمثل ظمآن على رأس بئر ماله دلو ولا سبب يتوصل به إلى الماء ولا قلب يصبر على العطش ولكني أتعهد إن شاء الله بالسعي المقدور في نشر نفحات النحلة وبركاتها بين أبناء الوطن من الإخوان والخلان وغيرهم من رؤساء إدارات التعليم الذين يعرفونني ولو بأدنى معرفة وأما أغنياء هذه الصفحات من الملوك والأمراء والأكابر فليسوا في شيء من ذوق العلم ومطالعة الجرنالات وتفحص الأخبار وذلك وذلك السعي الذي تعهدت به لا يكون مني على شرط عوض من جنابكم بل يكون لمحض إشاعة الخير والبركة بين الناس ولما تقتضيه الأخوة الإنسانية من التعاون والتعاضد وإن كنتم تمنون بعد ذلك بإرسال الجريدة فلا يسعني الإتيان بغير التشكر على هذا الامتنان باللسان والجنان..."[20]

فحالي في هذا النص خرج عن العربية المألوفة لدية فوقع في مشكلات لا يعرف حلها إلا من عاش بين العرب وتدرب على لغتهم معهم وسمعها من أفواههم،

فقد استخدم مثلا كلمات اللغات للتعبير عن المعاجم والقواميس وهو معنى الكلمة في اللغة الأردية، وعبر عن الترجمة الحرفية بقوله بكل لفظ لفظ وقال عن الجرائد جرنالات أي جمع جورنال بالإنجليزية، وفي رسالته التي أرسلها إلى عماد الملك كتب أسماء المدن بمباى ودلهي وشهر نوفمبر كما في الأردية واستخدم لقب السيتهه وهو لأثرياء التجار كما هو في الأردية، وهذا كله من آثار القطيعة وعدم الاحتكاك بين من يعشقون العربية خارج ديار العرب وبين العرب الخلص.

عبدالعزيز الميمني: خادم الأدب العربي في شبه القارة ومعلمه وقطبه عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ولد في راجكوت سنة 1888 في أسرة مزارعين، تلقى تعليمه الابتدائي في كتاتيب القرية ثم رحل إلى دهلي عام 1901 وتتلمذ على يد الأساتذة المعروفين آنذاك كالشيخ مُحَمَّد بشير السهسواني والشيخ نذير أحمد الذي مر بك شعره، وكان يلقب بشمس العلماء، وعلى يديه قرأ الحماسة وديوان المتنبي والمقامات وسقط الزند وغيرها من كتب الأدب العربي، وتعلم الفلسفة والمنطق على الشيخ مُحَمَّد الطيب المكي في رامبور والتحق بعد ذلك بجامعة البنجاب لدراسة العلوم الشرقية والإسلامية وحصل على شهادتيها "منشى فاضل ومولوي فاضل" عامي 1908 و1909م بتفوق، كان يحفظ من الشعر العربي حسب قوله مائة ألف بيت وقد حفظ في صباه المعلقات العشر وديوان وديوان المتنبي وغير ذلك. عمل الميمني في حقل التدريس اللغة العربية واللغات الشرقية في عدة مؤسسات تعليمية كالكلية التبشيرية في بشار وكلية الدراسة الشرقية في لاهور ثم في جامعة عليكره سنة 1925 إلى أن ترأس قسم اللغة العربية فيها وبقي بها إلى أن تقاعد إلى المعاش فانتقل إلى جامعة كراتشي وعمل رئيسا لقسم اللغة العربية فيها ثم رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة البنجاب في لاهور...[21]

والأستاذ الميمني رحمه الله في رسائله الكثيرة إلى اصدقائه من العرب والعجم لم يتكلف ولم يلحن، بتل عبر عن المراد بلغة سهلة كما في هذه الرسالة التي أرسلها إلى مُحَمَّد كرد رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق حين يقول:

"سيدي الفاضل الكريم الماجد مُحَمَّد كرد على رئيسنا أبقاه الله غرة في جبين الآداب وعليك السلام ورحمة الله ورضوانه، وصلني منك أعزك الله أربعة كتب تترى دالة على كرمك ولطفك بهذا العاجز ومخبرة بما لا أزال أفتخر به بين الملأ من انتخابك هذا العاجز عضواً بالمجمع وهذه بشرى أقدرها وأباهى بها فشكراً مني لك ولأعضاء المجمع الكرام إخواني وأصدقائي حرسهم الله عن كل ما يسوؤني فيك وفيهم وجعلني من بينهم الفداء لهم."[22]

الشيخ مُحَمَّد يوسف البنوري: هو السيد مُحَمَّد يوسف بن مُحَمَّد زكريا بن مير مزمل شاه بن مير أحمد شاه بن مير موسى بن غلام حبيب بن رحمت الله بن عبد الأحد بن حضرت مُحَمَّد أولياء بن السيد آدم البنوري، وينتهي نسبه إلى سيدنا علي ﷺ، وكان من السادات.

ولد ليلة الخميس السادس من ربيع الآخر وقت السحر سنة 1908م في قرية "مهابت آباد" من مديرية مردان.

تعلم القرآن الكريم والمبادى على والده السيد مُحَمَّد زكريا وقرأ الكتب المتوسطة من الفنون المختلفة على علماء "بشاور"، و"كابل"، وفي عام 1345هـ التحق بجامعة دارالعلوم الديوبند وأكمل فيها الدراسة العالية.

وأن الله منحه ملكات في كل فن، ورزقه ذهناً وقاداً، وبصيرة ثاقبة، وعلماً وهبياً، وذاكرةً قويةً، وقدرةً على كل فن من العلوم الدينية، ومهارة تامة في التدريس والتصنيف وكان كل ذلك يتجلى في كلامه وتدريسه وكتابه وخطابه ووعظه وإرشاده. وقد كتب عدة كتب باللغة العربية الفصحى بعبارة أدبية رائقة، وأسلوب بديع ما يجلب الأنظار ومن أهم مؤلفاته، بغية الأريب في مسائل القبلة

والمحاريب، يتيمة البيان في شيء من القرآن، معارف السنن شرح جامع الترمذي، الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره.

توفي الشيخ مُحَمَّد يوسف بنوري إثر نوبة قلبية في إسلام آباد وذلك يوم الاثنين 1977/10/17م.[23]

نموذج من رسائل الشيخ مُحَمَّد يوسف بنوري: إن الشيخ مُحَمَّد يوسف بنوري كتب رسالة إلى جلالة الملك شاه فيصل ملك المملكة العربية السعودية وهذا هو جزء من رسالته المكتوبة:

"حضرة صاحب الجلالة عاهل العروبة، حارس الإسلام، حضرة الملك المحبوب المعظم فيصل بن عبدالعزيز حفظه الله ورعاه وخلّد مملكته فيما يحب الله ويرضاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي ومولائي! كل مسئول عندالله حسب مقدرته وطاقته، إن الله سبحانه اعطاك ووهبك ما تقدر به من خدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء البسيطة كلها، سيدي ومولائي ! علمنا أنك تقوم الواجب، وقمت بالواجب بأدنى معاينة في الحرب بين الباكستان العزيزة وبين الهند الظالمة، فساعدت باكستان بأموال واسلحة وعتاد وطائرات وبواخر، بذلك أصبحت مفخرةً لملوك الإسلام والمسلمين حقاً، وأصبحت محل إعجاب وتقدير في العالم كله، فرض على المسلمين جميعاً أن يشكروك ويحمدوك من أعماق قلوبهم."[24]

وقد كتب في رسالة أخرى لأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ مُحَمَّد سرور الصيان، جيث يكتب كاتبا:

"السيد المحترم إن قلبي يتقطع ألماً وحسرة مما حديث من تلك الحادثة الفادحة الكبرة في الشرق الأوسط كل ذلك من جزاء أعمالنا وبذل قوانا في غير خير البلاد وإصلاح العباد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لا ندرس متى ينتهي هذه الكارثة وكيف ننقذ الأمة العربية والإسلامية من عواقبها الوخيمة ونتائجها السيئة المؤلمة وقد آن لنا أن نستيقظ من سنتنا ونجمع كلمة الإسلام والمسلمين، ونقوم عن الذب عن بلاد الإسلام بكل ما أمكن لنا من حول وطول من صرف العناية البالغة بتجهيز الجيوش وإعداد الأسلحة وتأسيس مصانع آلات الحرب ثم فوق كل ذلك الثقة بالله والتوكل عليه والتوبة عما سبق والإنابة فيما يأتي. وما إلى ذلك من وسائل مادية وأسباب معنوية وعدم الثقة بالجهة الغربية أو الشرقية والتمسك بأهداب الدين والجادة المستقيمة التي لا شرقية ولا غربية."[25]

نموذج من رسائل علامة مُحَمَّد إقبال: نموذج رسالة الدكتور علامة مُحَمَّد إقبال إلى مصطفى المراغي شيخ الأزهر الشريف، يكتب الدكتور بعد البسملة:

"أن الأزهر الشريف له أهمية كاملة في العالم الإسلامي، وهو مركز علمي وحيد ولذلك يسرع إليه كل عطشان ليغترف من بحاره ويرتشف من زحرانه وهو المشار إليه عند كل حاجة علمية ودينية ولنا أيضا حاجة إليكم.

إننا أردنا أن نؤسس في قرية من قرى البنجاب إدارة مهمة لم يسبق إليها أحد إلى الآن وتكون لها شأن ما عدا المعاهد الدينية الإسلامية إن شاء الله تعالى، إننا نريد أن نجمع عدة رجال من الذين فازوا في العلوم الجديدة مع عدة من الذين مهروا في العلوم الدينية، ويكون فيهم صلاحية ذهنية بأعلى ما تكون، وهم مستعدون لصرف وقتهم في خدمة الدين الإسلامي... ولذلك أرجو منكم أن تفضلوا علينا بإرسال رجل مصري عالم يكون نفقته على جامعة الأزهر الشريف، ليساعدنا في هذا الأمر وينبغي أن يكون ماهرا في العلم الشرعي وفي تاريخ التمدن الإسلامي، ويجب أن يكون قادرا على اللغة الإنجليزية."[26]

لا يحتاج اسم علامة مُحَمَّد إقبال وخدماته لمسلمي الشبه القارة الهندية لأية تعارف لأنه أظهر من الشمس، ويظهر من مكتوبه المذكور أنه كانت له الأفكار

الإسلامية والدينية لأجل أراد أن يؤسس الصرح العلمي وبهذه المناسبة كتب رسالة إلى شيخ الأزهر للمساعدة بهذا الصدد.

أبو الحسن الندوي: هو أبو الحسن علي بن فخر الدين، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما. ولد بقرية "تكية" بمديرية "راي بريلي" في الولاية الشمالية بالهند في 6 من المحرم 1333هـ الموافق 1914م، كان والده علامة الهند ومؤرخها، تحفظ القرآن الكريم وتقول الشعر، وتؤلف الكتب، توفي والده وهو دون العاشرة فأشرف أخوه الكبير على تربيته، فحفظ القرآن، وتعلم الأردية والإنجليزية والعربية، ثم التحق بجامعة لكهنؤ، وهي جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الإنجليزية، وفيها قسم لآداب اللغة العربية، اختاره أبو الحسن عن شوق، ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام 1929م، ليلاقي كبار علماء الهند، وليحضر دروس الشريعة عليهم، ثم التحق بديوبند مدة شهور، ثم سافر إلى لاهور، وقرأ التفسير القرآني على كبار علمائها، وتحققت أمنيته بلقاء شاعر الإسلام مُحَمَّد إقبال، فجالسه وأفاد منه، وعين مدرسًا بدار العلوم لندوة العلماء في عام 1934م.

بلغ مجموع مؤلفات الندوي وترجماته نحو 700 عنوانًا، منها 177 عنوانًا بالعربية، ترجم عدد منها إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والبنغالية والإندونيسية وغيرها.

توفي أبو الحسن الندوي في 31 من ديسمبر 1999م، عن عمر يناهز 86 عامًا.[27]

نموذج لرسالة فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي: لقد أرسل أبو الحسن الندوي رسالة إلى رئيس التحرير لمجلة البحوث الإسلامية:

"فضيلة الشيخ عثمان الناصر الصالح المحترم رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت رسالتكم المؤرخة 93/10/25 رقم 2/116م أدعو الله تعالى أن يكلل جهودكم وجهادكم بالقلم في سبيل إعلاء كلمة الحق بالنجاح، وأن تعم الرسالة السامية جميع أرجاء العالم لمكافحة الغزو الفكري الغربي، الذي يجتاح العالم الإسلامي، ومن فضل الله عللى هذه الأمة أنه قيض في كل عصر ومصر رجالاً أكفاء لصد الهجوم على الإسلام والمسلمين بلسانهم وقلمهم، فأوجب البحوث العلمية التي قررت إصدار هذه المجلة وأهنيئها على تولي هذه الخدمة الجليلة.

ونظراً لإرتباطات العاجلة، والرحلات المتواصلة منذ بعض الوقت سوف لا أتمكن من تلبية رغبتكم عاجلاً ولكني واثق بأني كلما أتاحت لي الظروف الفرصة سأقوم بهذا الواجب للمشاركة في هذا المجهود الكريم ولكم الشكر والله هو الموفق الأعلى". (28)

نجد في رسائل أبي الحسن الندوي بأن ألفاظه بسيطة، وأسلوبه رائع، وخالي من التكلف ونجد الألفاظ المتقاربة الحروف، مثل العاجلة والمتواصلة وجهودكم وجهادكم.

خاتمة البحث

إن النماذج التي اطلعنا عليها توضح في جلاء أن أدباء العربية في شبه القارة لم يشقوا لأنفسهم طريقا، ولم يسطيعوا لأقلامهم أسلوباً يميزهم عن الآخرين بل كانوا مقلدين في الأول والآخر، فأبو العلاء اللاهوري قلد ما ساد في زمانه مع طراز وضع أسسه بديع الزمان الهمداني بما فيه من ترسل وسهولة ورقة فانتمى إلى نفس المدرسة، وأصحاب الأقلام من المتأخرين اقتفوا آثار القاضي الفاضل من عناية باللفظ، وإكثار من الزخرف، وتضمين للشعر، وافتتاح الرسائل به، وتدبيجها بالآيات القرآنية والأحاديث، وكذلك إذا تقرأ رسائل المتأخرين تشعر أنهم وضعوا أمامهم في كل حين كتاب المثل السائر لابن الأثير وراعوا بدقة ما قرره

من أصول وأسداده من نصائح لمن أراد أن يخوض في هذا الفن، وهذه أمور طبيعية لأدباء، لم ينشأوا كما ذكرنا في بيئة اللغة الأصلية فجاء أدبهم وأسلوبهم كمواطني الدرجة الثانية متبعاً غير مبتدع، مقلداً غير مجدد، مأموماً بغيره دون نظر وتفرد.

إن اللغة العربية واجهت الصعوبات البالغة في نشرها في شبه القارة بسبب اللغة الفارسية في البداية والآن اللغة الإنجليزية، وحينما انتشر العلوم الإسلامية العقلية التي كانت باللغة العربية تركت اثرا واضحا في عقول المسلمين وثقافتهم في شبه القارة، وإلى جانب ذلك إن الأدب العربي شعرا ونثرا، نرى أثره العميق في ثقافة المسلمين، حيث إننا نجد الفنون الشعرية والنثرية العربية كانت موضع الاهتمام الخاص من أدباء العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية.

الحواشي والهوامش

1 مختار الصحاح للرازي، مكتبة مشكاة المصابيح، ص 154، القاموس المحيط، اللسان، مادة: رسل

2 لسان العرب، لجمال الدين بن منطور، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة (رسل).

3 الأدب العربي في الأندلس، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، ط/2، بيروت، 1976م، ص 448.

4 صبح الأعشى لقلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ، ص 54.

5 المعجم الأدبي، عبدالنور جبور، دار العلم للملايين، ط/1، بيروت، 1972م، ص 122.

6 في النقد الأدبي، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، ط/2، 1972م، ص 221.

7 التحرير الأدبي دراسات نظرية ونماذج تطبيقية، حسين علي مُحَمَّد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/6، 2005م، ص 151.

8 الأدب العربي في شبه القارة الهندية، ص 147.

9 معلم الإنشاء باللغة الأردية، لمولانا عبدالماجد الندوي، مجلس نشريات إسلام كراتشي، باكستان، ص 15.

10 الأدب العربي في شبه القارة الهندية، د. أحمد إدريس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، والاجتماعية، 1998م، ص 381، أبو العلاء اللاهوري، د. ظهور أحمد أظهر، السعودية، 1982م.

11 الفن ومذاهبه في النثر، شوقي ضيف،دار المعارف، ط/13، ص 309.

12 http://www.alhaqqani.com/

13 الدعوة الإسلامية في الهند لأبي الحسن الندوي ، 1478هـ، ص 16.

14 نزهة الخواطر، عبدالحئ الحسنى اللكنوي، كراتشي باكستان، 1986، ج 8، ص 209-210.

15 ظل ممدود، مُحَمَّد عباس التستري، الهند، 1288، ص 8-10، الهند، 1288.

16 ظل ممدود، ص 162-163.

17 نزهة الخواطر، ج 8، ص 65-67.

18 ضميمة اردو كليات نظم حالي، مُحَمَّد يعقوب مجدي، الهند، 1333هـ، ص 132-133.

19 ضميمة اردو كليات نظم حالي، ص 134.

20 ضميمة أردو كليات نظم حالي ، ص 134-136.

21 الأدب العربي في شبه القارة الهندي،، ص 407.

22 مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد العاشر العدد الخاص بالميمني، يونيو 1985م، ص 362-366.

23 http://www.banuri.edu.pk/ar

24 مجلة البينات،اشاعت خاص بياد محدث العصر سيد مُحَمَّد يوسف بنوري، العدد/محرم إلى ربيع الأول 1398هـ/ 1978م.

25 نفس المرجع

26 خطوط إقبال، مكتبة خيبان أدب لاهور، باكستان، ص 124.

27 http://islamstory.com/ar

28 مجلة البحوث الإسلامية المجلد الأول، العدد الرابع.